

ذكرى الهجرة النبوية الشريفة

﴿ وجعلها تاريخاً عاماً للبشر ﴾

ذِكْرُ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

الله أكبر ، هذا هلال العام الجديد عام ١٣٣٠ للهجرة النبوية الشريفة . هذا هو الهلال الذي يذكرنا في كل سنة بذلك النور الذي كان خفياً في مكة المكرمة ، فأشرق بالهجرة في المدينة المنورة ، ثم امتد منها الى جميع أرجاء العالم ، فدخل به العالم الانساني في عصر جديد ، فكان تاريخاً للانسانية جديداً

الله أكبر ، هذا هو الهلال الذي يذكرنا في فاتحة العام ، بذلك الاصلاح العام ، الذي جاء به الاسلام ، فاستفاد منه جميع الانام ، ثم حالت الاحوال ، فصار حظ المسلمين من سعادته دون حظ غيرهم ، حتى آل أمرهم في العام الذي ودعناه الى ما يعرفه كل أحد ، من وقوع خطر وتوقع خطر ، فعسى ان يكون حظ هلالنا السياسي الاجتماعي في هذا العام الجديد خيراً منه فيما قبله ، ولا يكون كذلك الا بالرجوع الى تلك الهداية العليا : هداية التوحيد والاعتصام ، بعد الشقاق والخصام ، « ولا تنازعوا

فتفشلوا وتذهب ربحكم» وبالسير على سنن الله في خلقه « قد خلت من قبلك سنن فسيروا في الارض فانظروا» وتغيير ما بأنفسنا من الاخلاق والافكار، التي خالفنا فيها سلفنا الاخير « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

دخل العالم بالهجرة النبوية في عصر جديد لم يسبق له نظير في التاريخ فكان جديرا بأن يكون تاريخا للبشر كافة، لا للمسلمين خاصة،
قضى الاسلام قضاءه المبرم على الوثنية التي اذلت البشر واستعبدتهم للملوك المستبدين، والرؤساء الروحانيين، ولما ظهر الطبيعة وما يمثلها في الهياكل من الاصنام والاوثان، وقرر حرية الاعتقاد والوجدان، والاجتهاد الاستقلالي في العقائد والاعمال، والشورى في السياسة والاحكام، وأبطل امتيازات الانساب والاجناس، التي كان يستعلي بها الناس على الناس، بغير علم نافع، ولا عمل رافع، وجعل قاعدة الانسانية العامة قوله عز وجل « ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكروا نثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

هذا درس عام في حقوق الانسانية العامة، علمه الاسلام لجميع البشر بالقول والفعل، فاستفادوا منه بقدر استعدادهم في كل عصر من الاعصار، فاذا كانت العرب قد سبقت غيرها الى الاستفادة منه لانه التي بلغتها وظهر فيها، فأزالت ظلم الرومان وغيرهم من المتغلبين القاهرين للانسانية، وأحيت العلوم والمعارف، وأنشأت جنات المدنية في الشرق والغرب، فرب لاحق يبدؤ السابق، كما رأينا الشعوب الافرنجية قد أخذت المدنية عن اجدادنا أهل الاندلس وغيرهم وبرزت علينا فيها،

(التارخ ١ م ١٥) اشتراك البشر بالمدينة والعلم والدين والتجارة ١١

فكل هذا مما يجب أن يذكرنا به تاريخ الهجرة فنعلم ان البشر لوانصفوا
لجلوه التاريخ العام لهم

كان البشر قبل الاسلام متقاطعين ليس بينهم صلة عامة ، وكانت
المدينة تظهر في قطر من أقطارهم ثم تختفي وتزول قبل أن تتصل بسائر
الأقطار ، بل كانت الأديان ذات السلطان الأعلى على البشر تشرع
وتنسخ فلا يمر زمن قليل الا ويذهب أصلها وينقطع سندها ، وما اتصلت
حلقات سلسلة العلم الإلهي والبشري ، وسلسلة المدينة والأعمال البشرية ،
الا بهذا الانقلاب الإسلامي الذي جدد تاريخ البشر ، فصار جميع ما يؤلف
في بغداد وسمرقند وخراسان وغيرها من مدن الشرق ، ينسخ ويقرأ في
عصر مؤلفيه بقرطبة وغرناطة وسائر مدن الأندلس في أقصى الغرب ،
(واحكم على العكس بحكم الطرد) فبهذا كانت الهجرة أجدر حوادث
الكون بأن تكون مبدأ تاريخ عام للبشر - كذلك أشرعت منذ ذلك العصر ،
طرق التجارة بين الخافقين في البر والبحر ، وصار يتحقق بالتدريج ما هدى
القرآن البشر إليه من حكمة التعارف بين الشعوب والأقبايل ، الذي يهد
السبيل إلى الأخوة الإنسانية العامة . ولولا ذلك الروح الإلهي الذي بثه
الإسلام في الناس ، لما تسرت لهم تلك المواصلات في ذلك العهد الذي لم تكن
تعرف فيه الكهرباء ، ولا البخار ، وانما كانت همة المسلمين نائمة عن قوى
الطبيعة التي عرف منها تلاميذهم من بعدهم ، ما كانوا أعدوا عدته وهم يهدوا
طريقه لهم ، فكما سرت جميع شعوب المدينة في ذلك وغيره على طريقهم ،
كان ينبغي ان يشاركوهم في تاريخهم ،

أحبا المسلمين ما كان أماته الزمان من علوم اليونان ، فاذا هي علوم

أكثرها نظري وأقلها عملي ، وكان من هداية الاسلام لهم ان يقرنوا العلم بالعمل ، فكانوا هم الذين وضعوا قواعد التجربة والعمل للعلوم الطبيعية ، فجمعوا الكيمياء الخرافية كيمياء عملية ، وعلى هذه القاعدة بنى تلاميذهم الافرنج علومهم التي قامت بها المدنية الحديثة ، فبهذا كان الاسلام فاتحة عصر جديد ايضاً ، وكان تاريخ الهجرة الشريفة جديراً بأن يكون تاريخاً عامناً للبشر كلهم

ان فيما شرعه الاسلام من الهجرة تربية عالية للبشر ، الذين قرن الله تكريمهم في كتابه بتعظيم شأن السفر ، فقال « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر » فالهجرة عبارة عن فرار الانسان بحريته في فكره ووجدانه وعمله من الارض التي يُضطهد فيها ويُظلم ، الى الارض التي يكون فيها حراً عزيزاً

قال تعالى « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها » ولما اشتد اذى المشركين للمؤمنين في مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة الى الحبشة ، وعل ذلك بان ملكها النجاشي لا يظلم عنده أحد ، فثبت بالكتاب والسنة ان الهجرة قد شرعت لتكريم البشر ، وتعظيم شأن الحرية ، وابطاء الظلم والذل والضعف ، وقد كان المسلمون أعز الناس وأكثرهم نفوساً ، وأشدّهم اباء للذل والظلم ، عندما كانوا عاملين باسمار هذا الاصلاح الذي جاء به دينهم عاملين به ، ثم سرى هذا الالباء والعز منهم الى غيرهم ، بعد ما ضعف فيهم ، فكان خير عامما منتشرا في البشر ، فما أجدر الهجرة الشريفة بأن تكون تاريخاً عامماً لهم

أشرق نور النبی صلی اللہ علیہ وسلم علی مدینة یثرب عند دخول الشمس فی برج میزان أول الاعتدال الخریفی، (۲۳ سبتمبر) فكان ذلك إشارة الی ما دخل فیہ العالم من عصر العدل والاعتدال، فكان ینبغی للمسلمین أن یجعلوا ذلك مبدءاً للتاریخ الشمسی للهجرة الشریفة عند حاجتهم الیه لاجل المعاملات المالیة، كما جعلوا التاریخ القمری للمعاملات الدینیة، فاذا كنا قد دخلنا الیوم فی عام ۱۳۳۰ الهجری القمری فقد دخلنا منذ ثلاثة أشهر فی عام ۱۲۹۰ الهجری الشمسی، فهل لمصر أن تكون السابقة الی استعمال هذا التاریخ الشمسی، كما كانت هی السابقة للعالم الاسلامی كله الی الاحتفال بذکرى التاریخ القمری، بعد ان کاد ینسى فیها باستعمال التاریخ الافرنجی الذی أخذناه عن الافرنج فی هذا العصر وما كنا لترجیحہ علی تاریخنا بمحتاجین. لولا ان انحلت روابطنا، وسحلت مرأثنا، لما استبدلنا بتاریخنا تاریخ غیرنا، ولقد کان یوم تقرير الحكومة المصریة جعل التاریخ الافرنجی رسمیا یوم فرح و سرور فی أوروبا، لان ما تقلد به أمة أمة فی أمر من الامور الملیة المامة یكون دلیلاً علی ضعف المقلدین « بکسر اللام » وعلو شأن المقلدین « بفتح اللام » ومقدمة لاستیلاء المتبوع علی التابع والسیطرة علیہ

یقول المقلدون منا انه لا بد لنا من التاریخ الشمسی وان التاریخ الافرنجی قد اشتهر فهو أولى من احياء تاریخ الهجرة الشمسی الذی لا یفهمه أحد. وكذلك ینصح بعض الناس للدولة العثمانیة أن تختار هذا التاریخ فی معاملاتها المالیة والرسمیة. وهذه حجة الضعیف فی استقلاله الشخصی والملی. ویرد هذا بأن الاستعمال یجىء بالشهرة ویجمل المجهول

معروفاً ، فقد كان بدء جعل الميلاد أساساً للتاريخ في سنة ١٩٤٤ هجرية ولم يكن مشهوراً ولا معروفاً ، ثم ظهر لهم الخطأ فيه فخرروه وصححوه ولا يزال مبنيًا على خطأ استقر رأي الأكثرين فيه على قاعدة « الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور » فما هو الموجب لترك ما عندنا من الصواب وتقليد غيرنا في الخطأ ؟ وتاريخنا أحق بالتعميم وأجدر ، وتقديم المرجوح في الزمن لا يجمله راجحاً ، فالقدم أمر نسبي كما قال الشاعر :

ان ذاك القديم كان حديثاً وسيدى هذا الحديث قديماً

لا يكفي في تعظيم الهجرة وأحياء ذكري تاريخها أن نحتفل في هذا اليوم بإلقاء الخطب ، وإنشاء القصائد ، وإنشاء المقالات في الجرائد ، وإنما يجب علينا تعظيمها بالحبرة والمعمل ، والمقابلة بين ماضيها وحاضرنا ، لا لاجل التلذذ بذكر الماضي الجميل ، والفروع بما مضى وانقضى من ذلك التاريخ المجيد ، ولا لاجل الشكوى من الضعف العتيق ، واليأس من المستقبل القريب أو البعيد ، بل لاجل أن نتذكر ونتدبر ، فنعلم أنه لا يصلح آخرنا ، إلا بما صالح به أولنا ، كما قال أحد أئمة العلم من سلفنا ، وإن في تاريخ الهجرة من ضروب العبرة ، وآيات الحكمة ، لذكرى لمن كان له قلب أو انقى السمع وهو شهيد

نودع عامًا ونستقبل عامًا فلا تطوى صحف عامتنا الفار على عمل يدكر ، ولا ينشر في صحف العام الحاضر مشروع للامة يشكر ، الامارى في بعض البلاد من الحركة الضعيفة ، ودروج كدروج الاطفال وراء الشعوب القوية ، التي تسر امامنا بقوة البخار والكهرباء ، فتسبق الاراقم على الارض والظهور في الهواء ، واننا لنرى حولنا في كل عام فتنا كقطع الليل المظلم

كلما غشيتنا قطعة منها وجنا وتألنا ، وصحنا ونحنا ، فاذا هي انجبت عنا كما كنا . لا نحسب لما بعدنا حسابا ، ولا نعمل لها عملا ، أرضينا أن نكون من قال الله تعالى فيهم (أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام صرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون)

كلانا اننا الى ربنا تائبون ، ولما هداانا اليه من الجمع بين العلم والعمل متوجهون ، بهنا تبشرنا الحوادث ، والى هذا تدعوننا بل تدعنا الكوارث ، ورب مصيبة افادت عبرة ، خير من نعمة احدثت غمورا وفترة ، واننا نهني اخواننا المسلمين على رأس هذا العام ، بما تجدد لهم من شعور الاخوة العام ، ونبشرهم بأن جماعة الدعوة والارشاد قررت تنفيذ نظام مدرستها الكلية (دار الدعوة والارشاد) من غرة هذا الشهر فاتحة العام المجري المبارك ان شاء الله تعالى ، وسينشر هذا النظام في الجرائد فيرون فيه أنه هو الضالة التي ينشدها المصلحون ، والرغبة التي ينتظرها المحسنون « لئلا هذا فليعمل العاملون » ناظر دار الدعوة والارشاد

محمد رشيد رضا

علاوة للمقال

كتبت هذه المقالة في سلخ ذي الحجة سنة ١٣٢٩ في ادارة المؤيد اذ كلفت ثمة ان اكتب مقالة افتتاحية لعدد المؤيد الذي يطبع في ذلك اليوم ويصدر في صبيحة المحرم افتتاح سنة ١٣٣٠ اوليلتها — كتبتها على مجل ومرتبو حروف المؤيد يأخذون مني كل ورقة قبل ان يحف حبرها ،

ويستعجلوني بما بعدها ، فلم يسمح ضيق الوقت واستعجال العمل بشرح مسألة احياء- التاريخ الهجري الشمسي والتوسع فيها ، لهذا رأيت ان أجعل لها هذه الملاوة الآن ، وأطبها على حديثها وفي المنار ،

من اختبار احوال المسلمين في هذا العصر يرى في اخلاقهم وأحوالهم تناقضاً عجيباً اذ يراهم من اشد خلق الله غيرة على دينهم وحرصاً على جامعهم الاسلامية ، ومن اشد خلق الله تهاونا واهمالاً في أمر دينهم ، وعدم المبالاة والاكثرات بما يحفظ جامعهم ويقوي رابطتهم ، واذا بحث في اختلاف الوجوه بين هذه الامور المتناقضة يرى شواهد كثيرة تدل على أن ما ذكرنا من حرص السواد الاعظم وغيرتهم محصورة في حب استبقاء الموجود ، واما تهاونهم واهمالهم وعدم مبالاهم فلا تنحصر في تركهم السعي لاسترداد ما فقدوا من علم وعمل ، ونور وهدى ، ومجد تليد ، وسيادة قديمة ، بل تتناول مع هذا ضعف المهمة في طلب المجد الطريف ، وعدم العناية في البناء والتجديد ،

لو كان هذا التفصيل الذي يدل عليه الاختبار ، ويثبته التمهين والاعتبار ، عاماً شاملاً لجميع المعروفين من أهل الرأي والعمل من المسلمين (على قلتهم) لكان دليلاً على ان المسلمين يموتون موتاً طبيعياً ، وان اعداءهم لا يحتاجون الى ادنى سمي في الاجهاز عليهم ، ومبادرة ما يخشونه من يقظتهم وانتباههم ، لأن اخص صفات الاحياء الذين يزدادون حياة وقوة هو أن يطلبوا ما يمد حياتهم ويحييها ، وأخص صفات الموجودات المشرفة على الموت والنفاء أن تنحل وتنقص يوماً بعد يوماً فتألم لما ينقص منها ، ولا تطمع في زيادة تمد حياتها ولا تطلبها

نرى بعض الشعوب تحيا بعد موت فتجدد ما كان اندرس من مقوماتها
ومشخصاتها ، كاليونان والارمن على تفرقهم ، والقبط على قتلهم ،
ونرى المسلمين على كثرتهم ، واتصال أقطارهم ، قد صاروا طعممة لكل
آكل ، ونهبة لكل طامع ، واكثرهم راضون بسوء ما هم فيه ، ومنهم من
يطلب تغييره بالانسلاخ من ماضيه ، والانغماس في شعب غريب
لا يرتضيه ، وهؤلاء هم الذين يسمون أنفسهم المجددين ، وطلاب المجد
والحضارة ، ومكوني الوطنية ، وخالقو الشعور بالحياة المدنية ، والحق انهم
شر من الراضين بما وصلنا اليه من الضعف والخرول ، لأن هؤلاء الخاملين
قد رضوا بهذه الحالة التي لا نجد لها تفسيراً الا انها مما يسمونه « الموت
صبراً » وأما المقلدون الذين رضوا بالحلل رابطهم المليية ، وعفاء مقوماتهم
ومشخصاتهم الموروثة ، وانتحال جنسية لغوية او وطنية جديدة ، لا اضطلاع
لهم بها ، وليسوا الا مقلدين في انتحالها ، فانما رضوا ان يخفوا أنفسهم ،
وينحروا أمتهم ، ويجعلوها غداء لأعدائهم

هناك حزب ثالث وسط بين ذينك الحزبين ، وهم حزب الله
المفلحون إن شاء الله ، الذين يطلبون المجد الطريف ، ليكون متحدثاً
بالمجد التليد ، الذين يريدون الحياة بمقوماتهم ومشخصاتهم الخاصة بهم ،
لا بانتحال ما هو من ذلك انيرهم ، الذين يريدون صقل جوهرهم لتظهر
خواصه ومزاياه في أكمل ما يمكن ان يكون عليه ، لا تحويله ولا تمويهه
بما ليس منه ،

إن ما يمرى من ظواهر الحياة على حزب الجمود انما هو الندماء الباقي

لهم من الحياة القديمة ، وان ما يرى من اعراض الحياة على حزب التقليد انما هو صناعي مستعار من الامم الغربية ، والذماء لا يلبث أن يزول ، والمستعار ههنا طال زمنه مردود ، وأما حزب الوسط فهم شهداء على الفريقين ، ولكنهم لا يزالون غرباء في ديارهم ، والرجاء كما قلنا متعلق بهم أو محصور فيهم ، وهم المخاطبون بأقناع أهل الاخلاص باحياء ما اندرس من السنن ؛ وسن ما يعد من النافع الحسن ، عملاً بقول النبي (ص) « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء » وقد سن عمر بن الخطاب (رض) — ووافقته المسلمون كافة — سنة التاريخ بالهجرة في الحساب القمري ، ثم اشتدت الحاجة الى احياء التاريخ بها في الحساب الشمسي ، فما لنا لا نستعمل كلا التاريخين ، وقد هدانا الله تعالى في كتابه ونظام خليقته الى الحسابين « الشمس والقمر بحسبان » انا نرى اهل الملل كافة والنصارى منهم خاصة يحافظون على تواريخهم الملية ولا يكادون يستعملون معها غيرها ، حتى اننا رام نقلون الشيء عن غيرهم كالمسلمين ويكون فيه تاريخ بعض الوقائع والحوادث فيقولونه في أثناء النقل الى تاريخهم حتى لا يفكر قراء ما يكتبونه او يقولونه — ولو نقلنا — في غير ما هو لهم .

بل نرى الملايين من الروم الارثوذكس لا يتركون ما اعتادوا من الغلط في تاريخ الميلاد الذي يعبرون عنه بالحساب الشرقي ، ونرى القبط يقدمون تاريخهم الخاص بهم الذي يسمونه تاريخ الشهداء على تاريخ الميلاد العام بين أهل ملتهم ، ولو تركوا تاريخ الشهداء الى تاريخ المسيح الذي يقولون انه رب الشهداء وإلههم لم يكونوا قد تركوا شيئاً من

شؤونهم الملية الى ماليس منها . فما بالنا نحن المسلمين نرغب عن تاريخنا الذي هو أجدد جميع التواريخ بالتعميم الى تواريخ الاغيار من الروم والافرنج والقبط وغيرهم ؟ ان ديننا يهديننا الى أن نكون أئمة متبوعين ، فلماذا ذلنا حتى رضينا ان نكون مقلدين تابعين ، ونحن نرى الذين جعلناهم أئمة لنا يسخرون منا ويدعوننا متعصبين

الا ان من الذل والخسف الذي سنته الحكومة المصرية ما نراه في كثير من أوراقها الرسمية واعداد البيوت والمركبات وغير ذلك من تشريف الكلم والارقام الافرنجية على مثلها العربي ، فاما ان تجعل ما يكتب بالافرنجي هو الاعلى واما ان تجعله هو الايمن ، ومن طمس التفرنج نور بصيرته ، او طبع الذل على قلبه ، فمدّ هذا مما لا يبالي به ، ولا يؤبه له ، يقال له اذا كيف اهتم به سادتك الافرنج وتقدوه في بلادك ؟ وأنى ينفع القول ، ومن هان عليه الذل في الامر الصغير ، لا يأبى جملة في الامر الكبير ، وقد قات في المقصورة

من ساسه الظلم بسوط بأسه هان عليه الذل من حيث اتى اذا اردنا ان نحيا فملينا ان نهم بكل ما نحفظ به مقوماتنا ومشخصاتنا الملية الموروثة ، وان نقبس كل ما نراه نافعا من حضارة هذا العصر ، بهذه النية وهذا القصد ، وان نهم بالصغير والكبير من ذلك على السواء ، وان نجتهد لنكون رءوسا لا اذنا ، وأئمة لا أتباعا ، وما دمنا لانستغني عن التاريخ الشمسي في ماملتنا المالية ونحوها ، فلا مندوحة لنا عن جعله هجريا كالتاريخ القمري في المعاملات الدينية

اذا اردنا ان نسن هذه السنة الحسنة بالطريق قد أشرع ، والحساب

قد وضع ، فقد صنف أحمد مختار باشا الغازي كتابا فيه سماه (اصلاح التقويم) وطبع بالعربية والتركية سنة ١٣٠٧ تكلم فيه عن تواريخ الامم والشعوب المشهورة وبين وجه الحاجة الي العمل بالتاريخ الهجري الشمسي وضع له جدولا مطولا بين فيه السنين الشمسية الهجرية مع المقارنة بينها وبين السنين القمرية والسنين الشمسية الميلادية من ابتداء السنة الشمسية الهجرية الاولى الي سنة ١٥٩١ التي توافق آخر سنة ١٦٣٩ القمرية وسنة ٢٢١٢ الميلادية وقد استحسن ان تسمى الشهور بما هو نص في الدلالة على المسمى في تحديد الفصول ، فالسنة الهجرية الشمسية بتديء من أول الخريف فتسمى شهورها هكذا : الخريف الأول ، الخريف الثاني ، الخريف الثالث ، الشتاء الأول ، الشتاء الثاني ، الشتاء الثالث ، الخ . وسمى الربيع بهارا وهو لفظ تركي — وذكر وجهاً ثانياً نذكر بقية الشهور به وهو : أول الربيع ، اوسط الربيع ، آخر الربيع ، اول الصيف ، آخر الصيف ، اوسط الصيف . ويمكن ان يقال الربيع الادنى ، الربيع الاوسط ، الربيع الاعلى وهكذا ، واعمل هذا هو الاولى ، واي التعبيرات اختير فكل من سمع اسم الشهر يفهم معناه من لفظه

واخبرني احمد مختار باشا الغازي في القسطنطينية انه كتب تقريراً يطالب فيه من مجلس الأمة العثمانية العمل بهذا التاريخ وجعله رسمياً للدولة . ولكن ما دامت الغلبة في المجلس للمتفرجين المعروفين ، فلا ترجى اجابة هذا الطاب ، الا ان تطالب الأمة به من كل ولاية . واذا سبق مساهمة مصر الي استعمال هذا التاريخ والدعوة اليه فالمرجو ان يتم اتشاره في اقرب وقت ، والله الموفق